الصيد والطرد في شعر أبي نواس

دكتور/ مسلم عبيد الرشيدي
الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية
كلية الخدمات التعليمية
جامعة الأمير سلطان بالرياض

الملخص:

وجاء هذا البحث بمقدمة وتمهيد، تحدثت في المقدمة عن التعريف بالشاعر ونسبه وحياته العلمية، وكان التمهيد عن اهتمام الإنسان بالصيد منذُ القدم.

وقد قسمت البحث إلى عددٍ من الموضوعات المهمة التي قدمت لها بفكرة حاولت أن تكون شاملة عن البحث، وأعطى لها في التمهيد نبذة عن حياة الشاعر،ثم التعرف بالصيد والطرد لغة واصطلاحاً.

وجعلت الدراسة التطبيقية للبحث في فصلين:

الفصل الأول وخصص للصائد،أو الطارد.

والفصل الثاني وخصص للمصيد ، أو المطرود.

ويذكر أن الحديث عن الصيد في الشعر العربي موضوع قد نال بعض اهتمام النقاد العرب فقد كتب فيه الدكتور عباس مصطفى "الصيد والطرد في الشعر العربي"، وكتب الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا" الصّيد عند العرب".

وقد رجعت إلى هذين المرجعين وغيرهما ولكن أكثر اعتماده كان على ديوان أبي نواس الذي حققه بدر الدين حاضري، و محمد حمَامي الصالحي، وعلى شرح ديوان أبي نواس لإيلّيا الحاوي، وانتهى البحث بخاتمة تضمّنت أهمّ النتائج التي توصّلت إليها.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد.

اهتم الإنسان منذُ القدم بالصيد فرسم طرائده على جدران الكهوف وصور رحلاته من أجلها،وخلد كثيرا من تلك الرحلات بأشعاره،سواءً بالطارد أو المطرود.

وفي الشعر العربي في مختلف عصوره حديث كثير عن الصيد، ونذكر من ذلك الخلفاء العباسيين وتكلفهم بالصيد و إعداد العدة له وتقليد الأمراء لهم في ذلك حتى إنهم أخذوا يصنعون نصال سهامهم من الذهب، وهم عنوا باستخدام الصقر والباز في الصيد، و بتربية الكلاب السريعة العدو وقد كان لشعر أبي نواس في الصيد أثر في النفس لجماله ولخصوبته وفي هذا البحث سأحاول نقل صورة لأبي نواس الصياد والمشارك في الصيد .

وقد قسم البحث إلى عددٍ من الموضوعات المهمة التي قدمت لها بفكرة حاولت أن تكون شاملة عن البحث، وأعطى لها في التمهيد نبذة عن حياة الشاعر،ثم التعرف بالصيد والطرد لغة واصطلاحاً.

وجعلت الدراسة التطبيقية للبحث في فصلين:

الفصل الأول وخصص للصائد،أو الطارد.

والفصل الثاني وخصص للمصيد ، أو المطرود.

ويذكر أن الحديث عن الصيد في الشعر العربي موضوع قد نال بعض اهتمام النقاد العرب فقد كتب فيه الدكتور عباس مصطفى "الصيد والطرد في الشعر العربي"، وكتب الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا" الصّيد عند العرب".

وقد رجعت إلى هذين المرجعين وغيرهما ولكن أكثر اعتماده كان على ديوان أبي نواس الذي حققه بدر الدين حاضري، و محمد حمَامي الصالحي، وعلى شرح ديوان أبي نواس لإيلّيا الحاوي راجيا من الله التوفيق.

التمهيد

أبو نواس حياته وشعره

هو الحسن بن هانئ ، يكنى بأبي علي، وقد ولد في الأهواز سنة ١٣٩هـ، وتوفي سنة ١٩٠هـ، وكان والده في دمشق من جند مروان الجعدي، وهوآخر خلفاء بني أمية، وأمه فارسية اسمها جلبان. وعندما آلت الخلافة إلى بني العباس انتقلت هذه الأسرة إلى البصرة ، وكان أبو نواس طفلا في الثانية من عمره، وقيل في السادسة ، وما لبث أن مات أبوه، ثم أسلمته أمه إلى الكتّاب ،ثم إلى عطار يعمل عنده أجيراً، يبري عيدان الطيب، ولما ترعرع خرج إلى الأهواز، وفيها اتصل حبله بوالبة بن الحباب أحد الشعراء اللامعين في ميدان الخلاعة والتهتك، وقام بعنايته ؛ إذ عمل على تأديبه وتخريجه، ثم مات والبة، وتلقفه خلف الأحمر، وأخذ أبو نواس عنه كثيراً من علمه وأدبه.

وكانت البصرة في ذاك الوقت منتدى للعلم والعلماء يجتمع في رحابها اللغويون والأدباء ، وكانت مرتعاً خصباً لأصحاب اللهو والمجون .

وصل الشاعر إلى بغداد ومدح البرامكة، وآل الربيع ، حتى وصل إلى الخليفة هارون الرشيد، فقد مدحه ونال عطاياه ، ثم ما لبث أن سجنه بعد أن شاع خبره بين الناس بفعل الفواحش، وشرب الخمر، وهجائه قريش والعدنانيين، وقد مكث في السجن أربعة أشهر.

وبلغ أبو نواس غايته عندما آلت الخلافة إلى صديقه محمد الأمين، وقد أطلق لنفسه العنان من شرب الخمر وغيره، ولكن لم يدم ذلك إلا سنتين ، وقد بلغ الأمين كلمة قالها الحسن بن سهل لأخيه المأمون كيف لا يحل قتال الأمين وشاعره ونديمه يقول:

ألا فاسقني خمراً وقلْ لي هي الخمرُ ولا تسقني سراً إذا أمكن الجهرُ

فأمر الأمين بحبس شاعره وصديقه ، ثم أطلق سراحه بعد ثلاثة أشهر.[١]

١- ديوان أبي نواس. تحقيق: بدر الدين حاضري, و محمد حمَامي. دار الشرق العربي , بيروت.ط١ . ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م. ص- ص٧-٩.

الصيد والطرد:

مارس الإنسان الصيد والطرد منذ دهور سحيقة باحثاً عن قوته، أو مدافعاً عن نفسه، أو ناشداً الرياضة والمتعة، وفي أقدم النصوص البشرية نجد صدى لهذا الصراع بين الإنسان والحيوان.(١)

تعريف الصيد والطرد:

أولاً: الصيد:

صاد الصيد يصيده صيداً إذا أخذه.

ويقال: خرج فلان يتصيد الوحش أي يطلب صيدها.

والصيد: ما تُصيدَّ (بالبناء المجهول).(٢)

ومن قوله تعالى: " لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم." (٣)

ثانياً: الطرد:

الطَّرْدُ : مُزاولَةُ الصَّيْدِ

والطَّريدَةُ : ما طَرَدْتَ من صَيْدٍ. (٤)

والطرد بفتح الراء: مزاولة الصيد، وطرَدت الكلاب الصيد طرَداً: نحته وأرهقته.(٥)

وقت الخروج للصيد عند أبي نواس:

قال أبي نواس يذكر وقت الخروج للصيد: (٦)

قدْ أغتدي والصبحُ مُحْمرَّ الطُّرَرْ والليلُ تحدوهُ تباشيرُ السّحرْ

وفي تواليـــــــهِ نجومٌ كالسُّررْ بسَحَقِ الميْعَةِ ميّالِ العُذَرْ

وقال أيضاً:

قدْ أغتدي والليلُ في أهابِـــــــهِ أدعجُ ما جُرّدَ من خِضَابِهِ

١- د. عباس مصطفى الصالحي. الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني. المؤسسة الجامعية للدراسات ولنشر والتوزيع , بيروت , لبنان . الطبعة الأولى. ص ١٤.

٢- محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري . لسان العرب. الناشر : دار صادر – بيروت الطبعة الأولى. ج٣. ص ٢٦٠.

٣- سورة المائدة.آية: ٩٥.

٤- محمد بن يعقوب الفيروزآبادي, القاموس المحيط. مطبعة السعادة بمصر , ١٩١٣. ص٣٧٧.

٥- محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري . لسان العرب. المرجع السابق. ج ٣ ص٢٦٧.

٦- ديوان أبي نواس. ص١١٣,

وقال أيضاً:

قــد اغتدي والصبحُ مشهورُ قد طلعتْ فيـــــه التباشيرُ

وقال أيضاً:

لقد اغتدى والليلُ في ادهمامةِ لم يَحسرِ الصّبحُ دُجَى ظلامهِ

يكرر أبو نواس استعماله لقد التي للتحقيق ليدل على أن خروجهم للصيد كــان دائما في الصباح الباكر وقبل أي إطلالة لنور الشمس فهو يحدد فــي الأبيــات الــسابقة وقت خروجه بانه في الصباح والليل تداعبه خيوط السحر، والنجوم لا تزال تتلألأ فــي ليلها والظلمة التي تحيط بها والفجر لما يظهر نوره.

ونجد أن أبا نواس في هذه لأبيات قد حدد وقت خروجه ولم يحدد الأماكن التــي طارد فيها ووجد فيها الصيد، وذلك لأن السير من اجل الصيد يكون قبل شروق الشمس في ساحات تلفها الظلمة وفيها ما فيها من مخاطر.

تقسيم الطردات:

ينقسم الصيد والطرد إلى قسمين:

الصائد ، و المصيد أو الطاردات أوالمطرودات.

الطارد للصيد ، له ثلاثة أقسام :

القسم الأول: الإنسان:

استخدم الإنسان الحيل ، أو الكمين ليصيد بها الصيد مثل:

التخفي و الإمساك بالصيد ، أو الأشراك، والحبائل، والفخاخ، أو الآلات مثل: البنــدق، والرمح ، والقوس، وغير ذلك من الوسائل.

وهذه أمثله على ذلك:

أولاً :الحيل، والتخفي، والإمساك بالصيد:

وقد عرض الجاحظ في كتابه الحيوان طريقة لصيد طير الماء بالقرعة، حيت تتــرك في مناقع الماء ومواضع الطير قرعة صحيحة يابسة، وحين تحركهــا الريــاح تفــزع الطيور منها عدة مرات ، ثم لا تلبث أن تألفها فلا تنفر منها، ويأخذها الإنسان ويــدخل رأسه فيها، وينزل في الماء ويسير ببطء، وكلما اقترب منه طائر أوصــل إليــه قــبض على رجليه وغمسه في الماء ودق جناحه وتركه ، ويبقى ذلك الطــائر طافيــاً يــسبح

برجليه ولكنه لا يطيق الطيران ، وسائر الطير لا ينكر انغماس الطائر ، ويستمر في ذلك حتى يأتي على آخرها

التخفي و الإمساك بالصيد:

لما صار الصيد يحذر الإنسان، ويتحاشى مواطنه، فطن الصياد لذلك ، واحتال له فوجدناه يحتفر لنفسه حفرة يختبئ فيها ويستتر عن الصيد، ويتعمد اتخاذها عند موارد الماء ، حيث تضطر المطرودات إلى قصد الماء، يدفعها لذلك الظمأ، وافتن الصيادون في ستر تلك الحفر ، فغطوها بصفيح.

وكان الصياد يظل مختبئاً في تلك الحفرة ، يراقب الصيد ليطلق عليها سهماً.وعليه في انتظاره ألا يغفل، وإلا فاته الصيد، وهو بهذا مهلك لها. [١]

ثانياً: الحبائل و الأشراك.

الحبائل والأشراك من الوسائل القديمة التي استخدمها العرب في الصيد، ومن هذه الحبائل الفخ.

ونجد أبو نواس يصف فخاً نصبه للصيد ، فحط قربه عصفور، وأخذ ينقر، و كاد الفخ أن يصيده ، ولكن العصفور انحرف عنه، ولم ينقر الفخ الذي غيبه أبو نواس في التراب. فقال بذلك:[٢]

قد كان هذا الفخ أن يعقرا وانحرف العصفورُ أن ينْقرَا
غيّبتُ بالتّراب عليهِ له بالمستوى خشيةَ أن يَنْقرَا
كما رأى التراب رأى جثوة مائلة الشخصِ فما استنكرا
حتى إذا أشرفها موفيا وعاين الحب له مظهَرا
خاطبه من نفسه زاجرٌ وقد كنت لا أرهبُ أن يزجرا
فأعمل الفكر قليلاً فلا يقتلُه الرحمنُ ما فكّرا
فلم يُرْعني غير تدويحهِ آمِنَ ما كنتُ لهُ مُضْمِرَا

يصف أبو نواس بلغة سهلة رقيقة سردية وصفية قصة العصفور والفخ فهو يقص علينا شعريا حكاية العصفور مع الفخ الذي وضعه وغيبه في التراب واقترب منه العصفور

١- د. عباس مصطفى الصالحي. الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني. المرجع السابق . ص٧١.

٢- ديوان أبي نواس. تحقيق: بدر الدين حاضري – محمد حمامي . دار الشرق العربي, بيروت , لبنان ط ١, ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م . ص٣١٧.

الذي شاور نفسه قبل أن يقترب من الحب ، ولكن أجمل ما في هذه الأبيات هو ذلك الوصف الجميل للصراع النفسي الذي خاضه أبو نواس وهو يرى العصفور يقترب من الحب الذي فوق الفخ.

ثالثاً: استخدم الإنسان آلات للصيد مثل:

القوس ، و الرمح ، والبندق، وغير ذلك.

وهذه أمثله لذلك.

١- القوس:

القوس:و تصنع من أعواد من خشب لين قوي يثنى ويقوس كالهلال ، ويثبت فيها وتر من جلد الإبل ترمى به السهام.

وقداصطاد العرب بالقوس مختلف الطرائد ، فهم صوبوها نحو البقر الوحشي وغيره من الصيد .

وقد ذكر أبو نواس القوس، فقال: [١]

رأيتُ لقوسِ أيوبٍ سهاماَ مثقّفَةَ السوالفِ ما تطيشُ

سهامٌ لا يذوبُ لهـا غِرَاءٌ ولم يُشدَدْ لها عَقِبٌ وريشُ

يصف أبو نواس السهام التي تطلق من قوس أيوب بأنها لا تطيش وهو يصف صناعتها وتثقيفها فيذكر الريش والغراء .ويصف مسيرها نحو الطريدة منذ انطلاقها من القوس .

٢- الرمح:

والرمح من الأسلحة التي لجأ لها العرب واستخدموها في القتال، واستعانوا بها على الصيد ووصفوها في شعرهم، قال أبو نواس يصف الرمح الذي بيده وهو راكب على الحصان: [٢]

فانصاعَ كالأجدلِ في انصبابهِ أو كالحريقِ في هشيم غابهِ

ملتهباً يستنّ في التهابـــهِ كأنّما البيداءُ مـن نهابهِ

فحازه بالرمْح في إعجابـــهِ شكَ الفتاة الدُّرّ في أحـزابه

١- المرجع السابق . ديوان أبي نواس. ص٣٥٤.

٢- المرجع السابق . ديوان أبي نواس. ص١١٤.

فبعد الوصف الحركي الجميل للحصان الذي مسيره ينهب البيداء، ويشبه الحريق في هشيم الغابة.

٣- البندق:

لعب فتيان العرب في العصر العباسي بالبندق وصادوا به ، وهو كرات صغيرة من طين أو حجر يرمى بها عن قوس لصيد الطير أو نحوه ، وقد وصف أبو نواس الصيد بالبندق، وهو نوع من الصيد كانت له مكانته المرموقة في العصر العباسي، أفتن الصيادون بتدبيره وافتن الشعراء في وصفه ووصف طرائده، وها هو أبو نواس يصف صيد سرب من الأوز له صخب وكيف تناولتها أيدي الرماة بالبنادق المدحرجات كالسهام فيقول : [١]

يا ربّ سربٍ من أوزّ ريّعٍ في صخبِ الحوت برود المكرعِ

ثم يقول:

وقبل وعواع الغراب الأبقعِ بكل هفهاف القميص شمسعِ

وشقق صفرٍ لذاذ المترع أوفي مخالي الأدم المرصّع

مدحرجات كالسهامِ المنقع من طينة لم تختلطْ بأجرعِ

ويبدو أن الصيد بالبندق كانت فيه متعة عظيمة فقد وصفه أبو نواس منذ إطلالة سرب الأوز حتى وقوعه في جعبة الصيادين ، ووصف وقت خروجه مع جماعته للصيد ، ويذكر البنادق التي صنعت من الطين المدحرج الذي لم يختلط بتراب، فكأنها السم القاتل.

القسم الثاني: الطيور الجارحة مثل:

العُقاب ، والصقر، و الباز ، واليؤيؤ، تستخدم لصيد الطيور في الجو مثل: الحباري، وغيرها ، وكذلك أنواع الصيد ذات القوائم الأربعة و هو كل ما يدب على الأرض مثل: الأرنب و أنواع الصيد الأخرى.

وهذه أمثله على ذلك:

١- د. عباس مصطفى الصالحي. الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني. المرجع السابق . ص١٨٤.

أولاً العُقاب:

نجد أن أبا نواس يفضل الصيد بالكلب على العُقابِ فيقول: [١]

يا بُؤسَ كلبي سيدِ الكلابِ قد كان أغناني عن العُقَابِ

يشير أبو نواس إلى استعانة العرب بالكلاب والعقاب للصيد ، ويبدو أن أبا نواس استسهل الصيد بالكلاب فهو يقول إن كلبه أفضل من العُقابِ في صيده ، وأنه أغناه بالصيد الكثير عمّا سواه.

ثانياً الصقر:

الصقر من الجوارح، والعرب تسمي كل طائر يصيد صقراً خلا النسر والعُقاب، والصقور مثل : الحر ، الشيهان ، وغير ذلك .

ووصف أبو نواس الصيد بالصقر في قوله: [٢]

لا صيد إلا بالصقور اللمُّح كلّ قطاميّ بعيد المطرح

يجلو حجَاجَيْ مقلة لم تجرحِ لمِ تَغذُهُ باللبنِ المضَيّحِ

أمّ ولم يولد بسهل الأبطحِ إلا باشراف الجبال الطمحِ

أحصّى أطراف القدامى وحوحِ أبرش من القرا والمذابحِ

يلْوي بخزّانٍ الصحارِي الجمحِ ينحى لها بعيد الطماح الأطمحِ

عني أبو نواس في هذه الأبيات بوصف الصقر الذي أطلقه ليلتقط الطريدة فيذكر أنه صقر لم يجرح ، وأنه لم يتغذِ باللبن الشائب، وأن مولده في أعالي الجبال الشوامخ، وليس في السهول، وريش قوادمه قليل، وألوان ظهره متباينة، وهو يتسلط على أرانب الصحاري فهو صيادها.وفي هذه الأبيات إشارة إلى خبرة العرب في استخدام الصقور للصيد ومعرفتهم بما يميزها وبأيها الأحسن والأفضل للصيد ، فالصيد بالصقر البعيد المطرح ، صاحب العين الحادة البصر ، الذي ربي في الجبال العالية هو الصيد الماتع فيرأي أبي نواس

٢- المرجع السابق . ديوان أبي نواس. ص١١٧.

٣- المرجع السابق . ديوان أبي نواس. ص١٧١.

ثالثاً الصيد بالباز:

وحين انتشر استخدام جوارح الطير في القنص، كانت تحمل على اليد، اتقى الصياد أذى مخالبها الحادة بأن ألبس كفه قفازاً، ومن أولئك أبو نواس، إذ عدَّ الرزق الذي كان يملكه زينة ليد الصائد وللقفاز أيضاً:

زين يد الحامل والقفاز فكم وكم من طولٍ جماز

وحين أراد الشاعر أن يحمل بازياً على كفه ألبسه قفازاً ذا شعر قد صنعه من جلد سنجاب ليقيه ذلك القفاز من البرد، ويحميه من مخالب البازي إذا طفر، فقال: [١]

كسوت كفي دستباناً مشعراً فروة سنجاب لؤاما أوبرا

تقي بنان الكف إلا نحصرا وغمزة البازي إذا ما طفرا.

رابعاً: اليؤيؤ:

ذكر أبو نواس في هذين البيتين اليؤيؤ،وقال: [٢]

لا بأس باليؤيؤِ لكنّمَا تجْتَمِعُ النّاسُ على البَازي

يصيدُ ذا الكُرْكيَّ لا ينثني وجهْدُ هذا فرْخُ نقّازِ

بلغة رشيقة الحروف بسيطة النسج تعتمد على الوزن أكثر من اعتمادها على الصورة يرى أبو نواس أنه لا بأس باليؤيؤ صيادا فهو صالح لصيد طائر الكُركي الوثاب الصغير، وإن كانت الناس تجمع على أن البازي هو الأفضل للصيد واليؤيؤ من جوارح الطير يشبه الباشق. [٣]

تشير أبيات أبي نواس إلى أن الناس في العصر العباسي كانوا يؤثرون الصيد بالبازي ، مما يدل على أن رياضة الصيد كانت منتشرة، بأكثر من وسيلة صيد حية منها البازي واليؤيؤ.

١- المرجع السابق . ديوان أبي نواس. ص٣١٦.

٢- المرجع السابق . ديوان أبي نواس. ص٣٢٢.

٣- شرح ديوان أبي نواس. إيلّيا الحاوي.منشورات الشركة العالمية للكتاب, دار الكتاب, لبنان. ١٩٨٧م.

القسم الثالث: الخيل :

أولاً: الخيل في شعر أبي نواس.

احتفظت الخيل بمكانتها في عالم الصيد والطرد في الشعر العباسي في الجد واللعب، فقد ذكرت في شعر الصيد ذكرها في شعر الحرب ومن ذلك قول أبي نواس: (١)

قدْ أغتدي والصبحُ مُحْمرَّ الطُّرَرْ والليلُ تحدوهُ تباشيرُ السّحرْ
وفي تواليهِ نجومٌ كالسُّررْ بسَحَقِ الميْعَةِ ميّالِ العُذَرْ
كأنّهُ يومَ الرّهان المحتضَرْ طاوٍ غدَا ينفضُ صبيانَ المطرْ
عن زفٍ ملحاحٍ بعيدِ المنكدَرْ أقْنَى يظلّ طيْرُهُ على حَذَرْ
يلذنَ منهُ تحتَ أفنانِ الشّجَرْ مِن صادقِ الوعْدِ طروحٍ بالنظرْ
كأنّما عَيْناهُ في وَقْبَيْ حَجَرْ بَينَ مآقٍ لمْ تخرّقْ بالإبر

يقدم أبو نواس لوحة عميقة الإحساس بالفجر والزمن في هذه اللوحة، فهو يفاجئ القارئ بهذا الصورة الحركية اللونية البديعة لما يراه من تغير في لوني في فترة ما بين وقت السحر وطلوع الشمس وإطلالة الفجر، فهو يصف خروجه على فرسه قاصداً الصيد في وقت الصباح الباكر، والليل تداعبه خيوط السحر، حيث النجوم لا تزال تتلألأ، وهو على فرس طويل الناصية قد مال شعره على كاهله، يشبهه بجارح جائع أصابه مطر، ثم يصف ريش الجارح، وكيف تختبئ منه الطرائد في الشجر، وهو يريد بذلك كله أن يصف المعاناة التي يخوضها في الصيد. (٢)

وقال أيضاً في وصف الفرس: (٣)

قدْ أغتدي والليلُ في أهابِهِ أدعجُ ما جُرّدَ من خِضَابِهِ
مُدَثّرٌ لم يَبْدُ من حجابِهِ كالحبشيّ أنْسلّ من ثيابِهِ
بهيكل قُوبل في أنَسابِهِ مردّدُ الأعوج في أصلابِهِ
وكشّرَتْ أشْدَاقُه عنْ نابِهِ عنّ لنا كالرّأل لا نرَى بِهِ
ذُو حوّةٍ أُفرِد عن أصحابِهِ يفري مثان الأرض معْ سهابِهِ

١- ديوان أبي نواس . المرجع السابق. ص٣١٨.

٢- عباس مصطفى الصالحي. الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني.المرجع السابق.ص١٤٧.

٣- ديوان أبي نواس . المرجع السابق. ص١١٣.

يكرر أبو نواس ذكر وقت خروجه للصيد فيذكرنا فقول امرئ القيس : وقد أغتدي والطير في وكناتها ، ويفتن في رسم صورة وقت طلوعه فيلونه بما يضوع في نفسه من عواطف جياشة ، وبصور مبتكرة لطيفة بعيدة ، منها قوله والليل في إيهابه، والليل أدعج ما جرد من خضابه،ومدثَّر، وهو كالعبد الذي انسل من ثيابه . وعاود أبو نواس وصف الحصان مرة أخرى فهو حصان طويل ضخم نسبه كريم من طرفين .

ويصف وركوبه عليه للصيد مع الصباح الباكر والليل في ظلمته

القسم الرابع: كلاب الصيد المدربة:

أولى أبو نواس كلاب الصيد اهتماماً عظيما أنساه الطريدة، فقد طغى شأنها على وسائل الصيد الأخرى كالفرس، وطرأ تغيير واضح عليها، وسنرى في فصل آت أن كلاب الصيد كانت تتلقى عناية خاصة ورعاية عظيمة، فقد وصف في طردياته كلبه الذي انطلق به مع تباشير الصباح ووصف أسنانه العليا التي فيها انعطاف طويل ،وهو مقدم الأنف واسع الفم، قوي على السير، طويل الظهر، شديد الجري ذعر أبو نواس بهذا الكلب الظباء في كنسها:[1]

قد اغتدي والصبحُ مشهورُ قد طلعتْ فيه التباشيرُ
بمُخطَفِ الأيْلُلِ في خطمهِ طولُ وفي شدقيهِ تأخيرُ
عملس العجز بعيد الخطا مسلجم المتنين محضيرُ
حتى ذعرنا كُنساً لم يصب بها من الأحداث مقدور .

القسم الخامس: الفهد

قال أبو نواس هذه الأبيات يصف بها الصيد بالفهد: [2]

عاين بعد النّظَرِ الممْتَدْ سر بين عنّا بجبينٍ صلَدِ
فانقضّ يأدو غيرَ مُجْرَهِدّ في لهبٍ عنه وختلٍ إذّ
مثل انسيابِ الحيّةِ العِرْبدّ بكُلّ نشزٍ وبكُلّ وهدِ
حتى إذا كان كهافي القصدِ صَعصَعَها بالصّحْصَحانِ الجرد
وعاثَ فيها بفريغِ الشّدّ بعد شريجيْ طمعٍ وجردِ
لا خير في الصّيد بغيرِ فهدِ.

١- شرح ديوان أبي نواس. إيليّا الحاوي. المرجع السابق. ج١. ص١٧٦.

٢- ديوان أبي نواس. المرجع السابق . ص٢١٩،٢٢١.

وقال أيضاً ينادي الفهد بتودد: [1]

ناديتُ فَهَادي بردّ فهدِه نداءَ من جادَ لهُ بِودّهِ

فجاءَ يُزجِيهِ على سَمَنْدَهِ أصفرَ أحوى بَينَ بَين وردِه

يصف أبو نواس قصة صيد الظباء فهو يتتابع بشعره عملية الصيد خطوة بخطوة فهو بعد أن شاهد الظباء جعل يمشي خلفها ولم يسرع بل تربص وخاتل كي لا يفطن له، يشبه الحية في انسيابه ،ثم انقض عليها بسرعة وألم بها في كل اتجاه ، ويقول:إنه يبذل له كل المودة لأنه يناديه بتودد.[2]

١- شرح ديوان أبي نواس. إيليّا الحاوي. المرجع السابق. ج١. ص٣٧٤،٣٧٨.

٢- سورة التوبة.آية٢٨.

القسم الأول: من الطرد، ذات القوائم الأربعة:

و كل ما يدب على الأرض من المصيد

أولاً: الثعلب.

وهو حيوان صغير من فصيلة الكلاب مشهور بالمكر والروغان[١]

قال أبو نواس في صفته وصيد الكلب إياه: [٢]

لمّا غدا الثعلب من وِجارِه يَلتمِسُ الكسْب على صِغارِه

جَذْلانَ قدْ هَيّجَ منْ دُوّارِه عارَضْتُهُ في سَنَن اْمتيارِه

بِضَرمٍ يمْرَحُ في شِوارِه في الحلقِ الصُّقْرِ وفي أسيارِه

فانصاع كالكوكب في انحداره لفْتَ المَشير مَوْهِناً بنارِه

حتى إذا ما انْشامَ في غُبارِه عافَرُ أخرقُ في عِفارِه

فتَلتَل المْفصِلَ من فِقارِه وقدّ عنه جانبي صِدارِه

يقول أبونواس إن الثعلب عندما خرج من الوجار وهو مأواه في الصباح الباكر يطلب الرزق لصغاره، وكان فَرِحاً في طلبه للرزق،

وكان يدور حول الرمل، فتعّرض له وعارضه وحاول قنصه بكلب كان يزهو بقلادته المزينة، فانطلق عليه كالشهب من سرعة عدوه ، وخرق أذنيه بأظفاره ومزقها، وكذلك مرغه في التراب، وفك مفصل فقاره ، وقدّ جانبي الصدر.[٣]

قال أبو نواس أيضاً هذه الأبيات في الثعلب :٢[٤]

قَدْ طالما أفْلَتَ يا ثُعالاً وطالَما وطالَما وطالا !

جُلْتُ بكلبي يوْمَكَ الأجْوالا وما طلتَ من لا يَسْأمُ المِطالا

حتّى إذا اليَوْمُ حَدا الآصالا أتَاكَ حَينٌ يَقْدُمُ الآجَالا

يقول أبو نواس إنه طاف عليه بكلبه ليصيده، وإنه ماطله ، حتى أسامه وهو حري يُسْئم من لا يسأم ماطله ، وعند المساء أتاه الموت المعجل. [٥]

١- محمود بن الحسن المعروف بكشاجم.المصائد والمطارد. تحقيق:د.محمد أسعد طلس. مطبوعات دار اليقظة ببغداد. ص١٤٩.

٢- ديوان أبي نواس . المرجع السابق . ص٣١٠،٣١١.

٣- شرح ديوان أبي نواس. إيليّا الحاوي. المرجع السابق.ج١. ص٥٦٠.

٤- ديوان أبي نواس . المرجع السابق . ص٤٧٣.

٥– شرح ديوان أبي نواس. إيليّا الحاوي. المرجع السابق.ج٢.ص٢٩٩.

ثانياً: البقر الوحشي. ومن ذلك ألمها:

لم يخرج أبو نواس عن الإطار الذي خططه الشعراء ، فيما يخص الظروف التي تكتنف الثور الوحشي في الليل شديد الظلمة ، والصبح لم يأتِ ، وقال هذه اللأبيات:١[١]

لقد اغتدى والليلُ في ادهمامةِ لم يَحسرِ الصبّحُ دُجَى ظلامهِ
يعد يوم الدجن من أيامه فصار والمقرور في أهدامه
ثم انتحى في سنني جمامة لناشط يدفع عن أخلامهِ

كان الليل عند خروج أبي للصّيد ما زال مظلماً، والفجر لم يظهر نوره، ولنا أن نتصور ما عاناه ذلك الثور، وهو يطوي ليلاً مطيراً، و رياح، ثم يصف ما أفزعه من برق ورعد ، وصراع الثور الوحشي مع الصياد وكلابه الضاربة وهذا من الصور القديمة التي تمتد إلى أمرئ القيس[٢]٢

ثالثاً:الوعل: والجمع وعول

وهويسكن الجبال الشوامخ. [٣]

قال أبو نواس في صيد الوعل والظباء هذه الأبيات: [٤]٢

يارُبّ ظبيٍ في مكانٍ عالِ صبّحتُه والليلُ ذو أهوالِ
بأغضفٍ غذّي بحسنِ حالِ مُسّودُ العم حسيب الخالِ
وانس الظبي بتل عالِ فانسلّ قلبي ساعة الإرسالِ
ومّر يتلوهُ ولمْ يبالِ بالحزنِ والسهل وبالرمالِ
فصادهُ في أصعب الجبالِ وقائلٍ لي وهو عن حيالي:
أكرِم بهذا الكبِ من محتّالِ! أُتيحَ حتف الظبي والأوعالِ

يقول أبو نواس إنه يصيد الوعول والظباء في مكانها العالي، ويذكر وصفاً لكلب الصيد، أنه مقطع الأذنين ، وأنه أحسنِ تغذيته ، وأنه مؤصل عمّا وخالاً.

١- ديوان أبي نواس . المرجع السابق . ص٥٢١.

٢- شرح ديوان أبي نواس. إيليّا الحاوي. المرجع السابق.ج٢.ص٣٨٩.

٣- عباس مصطفى الصالحي. الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني.المرجع السابق.ص١٠٧.

٤- ديوان أبي نواس . المرجع السابق . ص٥٢١.

وأنه فطن إلى الظباء والوعول التي في أماكن عاليه، وعندما ينسل لطريدة ينسل قلب الشاعر معه ، ليعرف إن كان سينال الطريدة أم ستفوته.

ثم ذكر أنه صاد الطريدة في مكانٍ عالٍ ، وقد قال له قائل جنبه إنه أعجب به، وأنه خلق ليعجل بآجال الظباء والوعول.[١]

رابعاً:الظباء.وأعناقها وقوائمها طويلة، تسكن الجبال والشعاب.

وهذا نموذج واحد من طرديات أبي نواس، فهو يصف كلبه الذي انطلق به تباشير الصباح، فهو كلب شديد الجري أذعر أبا نواس جريه وهيئته وهو يجري و الظباء في كنسها، فقال:١[٢]

قد اغتدي والصبح مشهور قد طلعت فيه التباشير
بمخطف الأيلل في خطمهِ طولُ وفي شدقيه تأخير
عملس العجز بعيد الخطا مسلجم المتنين محضيرُ
حتى ذعرنا كُنساً لم يصب بها من الأحداث مقدور

وقال أيضاً: هذه الأبيات يصف بها صيد الظباء.[٣]

قد اغتدى والليلُ في اعتكاره بأغضفٍ يموجُ في شِواره
لا يمهل الظبي على إقداره حتى يُرى بين شَبا أظفاره
قبل رجوعِ الطرفِ عن إمراره محله من يمنٍ ودارِه

يقول أبو نواس إنه هب للصيد في اعتكار الليل، أي في ظلمة الليل وقبيل الصبح، ومعه كلب يموج في القلاده التي وضعت لتزينه.

وإن هذا الكلب لا يمهل الظبي على سرعة في الجري حتى يمسكه.[٤]

خامساً: الأرنب: وهوحيوان صغير الحجم، ولأرنب اسم جنس يطلق على الذكر والأنثى، ويُقال: لذكر الخُزز ، والأنثى عكرشة، والصغير الخرنق.[٥]

١–شرح ديوان أبي نواس. إيليّا الحاوي. المرجع السابق.ج٢ص٣٠٠.

٢–عباس مصطفى الصالحي. الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني.المرجع السابق.ص١٠٥.

٣–ديوان أبي نواس . المرجع السابق . ص٣١٢.

٤–شرح ديوان أبي نواس. إيليّا الحاوي. المرجع السابق.ج١. ص٥٦٤.

٥–د. عبد الرحمن رأفت الباشا. الصّيد عند العرب – أدواته وطرقه – حيوانه الصائد والمصيد. مؤسسة الرسالة, بيروت. الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م. ص٢١٤.

والأرنب حيوان يعش على الأعشاب والحشائش في الصحاري والمرتفعات والمناطق الحارة أو الباردة.

قال أبو نواس: هذه الأبيات في الأرنب. [1]

من نهم الحِرص ومن خواتها لِتَفْثأ الأرنب عن حياتها
إن حياة الكلب في وفاتها حتى ترى القِدْرَ على ميقاتها!
كثيرة الضّيفان مِنْ عُفاتها تقذف جَالاها بجوز شاتها

يصف أبو نواس كيف أن كلابه تتخوت وتنقض على الأرانب، لتصيدها وتمنعها من حياتها، وأن الكلب لا يحيا إلا بوفاة الأرنب، وحتى ترى وهي على القدر تغلي، ويأكل من لحمها الضيوف.

سادساً: الضب واليربوع:

أولاً: الضب وله جحرٍ داخل الأرض، ويكون هذا الجحر نفقاً دائرياً تحت الأرض بطول متر أو مترين تقريباً، و هذا الجحر مفتوح دائماً.

ويخرج من جحره نهاراً قبل الظهر في وقت يكون الجو فيه غير بارد، وهو من الزواحف ويأكل العشب والحشائش.

ثانياً: اليربوع وهذا اسمه الذي ذكر في المعاجم العربية ومنها لسان العرب، ونجد أن له حجرات ونفقين أو ثلاثة، وكذلك قصعاء، فإذا طلب من أحدها خرج من الآخر وهو يخرج وقت الليل، وهو يأكل العشب والحشائش.

ولم نجد له في شعر أبي نواس شاهد.

١-ديوان أبي نواس . المرجع السابق . ص١٣٧.

القسم الثاني من الطرد: الطيور.

أولاً:الحُبَارى.(بضم الحاء وفتح الباء) اسم جنس يطلق على الذكر والأنثى، ويقال لـذكر الخرب. [١]

قال أبو نواس في الحُباري هذه الأبيات: [٢]

يارُبّ غَيْثٍ آمنِ السُّرُوبِ حُباريات جلْهَتَي ملحوبِ
فالقطّبيّاتِ إلى الذّنوبِ يرْفُلْن في برانسٍ قُشُوبِ
من جِبَرٍ عُلينَ بالتهذيبِ فهنّ أمثال النصارى الشّيبِ

الغيث المطر ويقصد به العشب، والسروب جمع سرب من الحباري.

يقول أبو نواس أن الحباري آمنة في العشب من الصياد، فهي تلعب وتلهو، وكذلك هي سريعة العدو والهروب من الصياد، ويشبه لونها اللامع بالثياب، فهي كأنها ارتدت الثياب اليمنية، وقرن أبو نواس ذلك بثياب النصارى. [٣]

ثانياً: الدُرَّاج : طائر باطن جناحيه أسود إلا أن ظاهرهما أغبر[٤]

قال أبو نواس هذه الأبيات وذكر الدُرّاج. [٥]

بُزَاتُنَا الأقداحُ دُرّاجهّنّ الرّاحُ
قسيّنَا عيدَانٌ أوْتَارُهَا فِصَاحُ
وَصَيْدُنَا ظِبَاءٌ كأنّهَا الصّبَاحُ

بزاتنا يقصد بها جمع الباز، والدُرّاج طير من أنواع الطرائد، والقسي هي الأقواس، التي يأخذونها للصيد، وكذلك يصيدون الظباء البيض التي تشبه الصبح.٣[٦]

ثالثاً: القطا. ومفردها قطاة

ذكر أبو نواس في هذين البيتين القطا، وقال: [٧]

١- شرح ديوان أبي نواس. إيلّيا الحاوي.المرجع السابق. ج١. ص٢١٤.
٢- د. عبد الرحمن رأفت الباشا. الصّيد عند العرب.المرجع السابق.ص٢٢٨.
٣- شرح ديوان أبي نواس. إيلّيا الحاوي. المرجع السابق.ج١. ص١٧٨.
٤- عباس مصطفى الصالحي. الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني.المرجع السابق.ص١٣٧.
٥- ديوان أبي نواس . المرجع السابق ١٧٢.
٦- شرح ديوان أبي نواس. إيلّيا الحاوي. المرجع السابق. ج١. ص٢٧٧.
٧- ديوان أبي نواس . المرجع السابق.ص١١٧.

وكلّ صقرٍ طالعٍ وثّابِ يختطف القُطا في الروابي
كالبرق بين النجم والسحاب كم من غزالٍ لا حقِ الأقرابِ

يقول أبو نواس إن الصقر ينقض على القطا في الروابي ليصدها، وكذلك يشبه الصقر بسرعته بالبرق عندما ينقض على هذه الطريدة. (١)

رابعاً: الكراكي. جمع مفرده كركي ،وهو طائر مائي كبير، لونه أغبر وساقاه طويلان، وطردت الكراكي بالبزاة ووصف أبو نواس ذلك فهو ينعت بازا بأبيات ثم يخصص بالإيضاح نهمه وحرصه على صيد الكراكي فإنه آنس منها عشرين في موضع أسمه ذات العيص وكيف تخلص من محبسه وهاجمها منقضاً كالبرق ثم دنا من الأرض بسرعة ونال منها خيارها بأطراف مخالبه فذبحوا منها وأبقوا سواها مقصوصة الجناح مهيئة للشوي (٢)

ويقول في صيد الكراكي: (٣)

آلف ما صدت من القنيص بكل بازٍ واسع القميصِ
ذي بُرنس مذهبٍ رصيص وهامة ومنسرٍ حصيصِ
وجؤجؤ عول بالدليص مدبج معين الفصوص
على الكراكي نهم حريص آنس عشرين بذات العيصِ
فانسل عن سكارة الممحوص وانقض يهوي كالوبيصِ
داني جناحيه إلى نصيص فاعتام منها كل ذي خميصِ
قعده بمخلب قبوص فكم ذبحنا ثم من موقوصِ
وكم لنا في البيت من مقوص معدة للشّيّ والمصوصِ.

١- شرح ديوان أبي نواس. إيليّا الحاوي. المرجع السابق.ج١. ص١٧٤.
٢- عباس مصطفى الصالحي. الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني.المرجع السابق.ص١٣٥.
٣- المرجع السابق . ديوان أبي نواس. ص ٣٥٩.

الخاتمة :

اللهم لك الحمد ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد.

لقد تطرقت في هذا البحث إلى بعض الموضوعات المهمة التي منها ما يأتي:

١- حياة أبي نواس الشاعر والظروف التي عاشها،منذ الصغر وخاصة وفاة والده و هو مازال طفلاً لا يتجاوز الثانية من عمره.وتحدث الباحث عن شعر الصيد في ديوان أبي نواس ، وخاض في ما تناوله هذا الشعر من موضوعات وأغراض وقد وجد الباحث أن أبا نواس قد وصف الصيد بعناية فائقة ، وبأسلوب قصصي أحيانا ، وبلغة رقيقة عذبة ، وتفاعل نفسيا مع الطرائد وظهر هذا التفاعل في شعره ، وأن أبا نواس قد نقل صورة واضحة لمدى عناية العباسيين بالصيد ففي قصائده الكثيرة عن الصيد وجدنا اهتماما بالغا بوصف أدوات الصيد وآلاته ، ومن خصصوا له ، وبرعوا فيه، ولم يخلُ شعر الصيد في ديوان أبي نواس من ذكر للصيادين ووصف انتظارهم للطرائد او ملاحقتهم لها .

نقل لنا أبو نواس في قصائده عن الصيد صورة واضحة عن هواية الصيد في العصر العباسي وكيف أن ممارسة الصيد والطرد عند الخلفاء والأمراء العباسيين من رياضاتهم المفضلة وهواياتهم الماتعة. وبين الباحث كيف أن أبا نواس وصف طرق الصيد وإقبال الطرائد وإدبارها فقد وصف كلاب الصيد والصقور الجارحة.

وأخيراً أرجو من الله التوفيق،وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المراجع للبحث:

١- إيليّا الحاوي. شرح ديوان أبي نواس. منشورات الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب، لبنان. ١٩٨٧م.

٢- الحسن بن هاني. ديوان أبي نواس. تحقيق: بدر الدين حاضري، و محمد حمَامي. دار الشرق العربي ، بيروت.ط١ . ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٣- د. عباس مصطفى الصالحي. الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني. المؤسسة الجامعية للدراسات ولنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان . الطبعة الأولى.

٤- د. عبد الرحمن رأفت الباشا. الصّيد عند العرب – أدواته وطرقه – حيوانه الصائد والمصيد. مؤسسة الرسالة، بيروت. الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٥- محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي . الجامع الصحيح سنن الترمذي. تحقيق : أحمد محمد شاكر. دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٦- محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري . لسان العرب. الناشر : دار صادر – بيروت ،الطبعة الأولى.

٧- محمد بن يعقوب الفيروزآبادي. القاموس المحيط. مطبعة السعادة بمصر ، ١٩١٣.

٨- محمود بن الحسن المعروف بكشاجم.المصائد والمطارد. تحقيق:د.محمد أسعد طلس. مطبوعات دار اليقظة ببغداد.